ثم بدأ بعضهم في تسلق الشجرة وكانت عالية، ولكنها اهتزت ومالت وسقطت بين لاعبي الكرة. أما سلم الفندق فكان ملعبا لمعركة من نوع آخر بين ممثلي مختلف الفرق العسكرية، وشكلت النساء خطوط الإمداد بالإغارة على الغرف وتزويد الرجال في صفوف القتال بالوسائد، وهي السلاح المعتمد في المعركة. عند الفجر تقول السيدة نينا نلسون، غادر الجميع، وقام العاملون في الفندق بهمة ونشاط بعملهم، في الصباح حين نزل الرواد لتناول الإفطار أو الجلوس في القاعة الشرقية كانت كل آثار الليلة الماضية اختفت. وعلينا أن نعترف أن السيد شبرد المؤسس خلّف تقاليد راسخة، وأحسن تدريب العرب و«البرابْرة»في تعبيره ورؤسائهم من الوافدين بما يجعل ممكنا إزالة آثار الشراب وندف القطن، والشجرة المكسرة في ساعات معدودة من الخامسة فجرا إلى الثامنة صباحا، كأن شيئا لم يكن!

* * *

لم تفهم شهرزاد لماذا قلت لا أريد هذا الفندق. قلت بإمكانها أن تفهم. اتصلت ببنت من بناتي وطلبت منها أن تمر عليّ في طريق عودتها من العمل. قلت لها أريد منك أن توصلي رسالة مني إلى أمك. أعطيت الأوراق التي كتبتها عن شبرد لأم عبد لله وطلبت منها أن تنزل إلى المكتبة المجاورة وتصورها لي. أتت ابنتي، أعطيتها المظروف المغلق على الأوراق المصورة بعد أن كتبت عليه اسم أمها مسبوقا بعبارة السيدة الكريمة. قالت متسائلة بابتسامة لا تخلو من مكر: «رسالة غرامية يا أبي؟!»لم أبتسم. أخذت الرسالة وانصرفت.

لم أظلم زوجتي. أحيانا أتشكك في نفسي، ثم تأتي الواقعة الجديدة لتعزز قناعتي بأنها غبية، أكثر غباء من أن يحتمل رجل عاقل. اتصلت بي. قبل أن تشير إلى الرسالة، قبل أن تقول إنها قرأتها عرفتُ ألا فائدة. في الصوت نبرة استخفاف أو سخرية. قالت:

ـ شكرا أنك أشركتني في جزء من كتابك. فهمت أنك أرسلت لي هذا الجزء